

## قادة الفتح الاسلامي

- ١ -

### عَبْدُ الرَّحْمَنِ ذُو النُّورِ بْنِ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيِّ

فاتح بَلَنْجَر (١) والبيضاء (٢) من بلاد الخَزَر (٣)

الولاء الركن محمود بن خنيزار

#### الصحابي :

هو عبد الرحمن بن ربيعة بن يزيد بن سَهْم بن عمرو بن ثعلبة بن غنم بن قُتَيْبَةَ بن مَعْن بن مالك بن أَعْصُر الباهلي ، نسب الى باهلة بنت صَعْب بن سَعْد بن قَيْس عَيْلان (٤) ، وهو أخو سلمان بن ربيعة الباهلي .

(١) - بلنجر : مدينة ببلاد الخزر خلف مدينة باب الأبواب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٢ / ٢٧٨ ) .

(٢) - البيضاء : اسم يطلق على مواضع كثيرة ، والمراد هنا : مدينة ببلاد الخزر خلف مدينة باب الأبواب انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٢ / ٣٣٥ ) .

(٣) - بلاد الخزر : هي بلاد الترك خلف مدينة باب الأبواب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٣ / ٤٣٢ ) .

(٤) - انظر أسد الغابة ( ٣ / ٢٩٣ ) وجمهرة أنساب العرب ( ٢٤٤ - ٢٤٧ ) .

كان عبد الرحمن صحابياً جليلاً ، إذ كانوا لا يؤمرون في الفتوح إلا الصحابة (١) أدرك النبي صلى الله عليه وسلم بسنه ولم يسمع منه ولا روى عنه (٢) .  
والظاهر أنه أسلم متأخراً ، لذلك لم يشهد غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجاهد تحت لوائه ، فنال شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت راية الرسول القائد صلوات الله وتسليمه عليه .

## جهاده :

١ - كان العراق الميدان الأول لجهاد عبد الرحمن ، فحين وجّه عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص الى ( القادسية ) جعل على قضاء الناس عبد الرحمن وجعله على قسمة الفئ أيضاً (٣) وذلك سنة أربع عشرة الهجرية ( ٦٣٥ م ) ، مما يدل على تفقهه في الدين وعدله واستقامته وأمانته .

ولكن عبد الرحمن لم يقنع بواجبه الإداري ، بل باشر القتال في ( القادسية ) وطارد الهاريين من الفرس بعد انتصار المسلمين في ( القادسية ) وقتل أحد قادة الفرس الكبار (٤) على الرغم من واجباته الأخرى التي تثقل كاهله ، فبرز في هذه المعركة الحاسمة بطلاً لا يهاب الردى كما برز في تحمل واجباته الإدارية أيضاً .

وشهد معارك الفتح الأخرى في العراق بعد ( القادسية ) تحت لواء سعد بن أبي وقاص ، فلما انساحت قوات المسلمين في بلاد فارس ، رافق عبد الرحمن هذه القوات ، فكان على مقدمة سرّاقة بن مالك في فتح ( باب الأبواب ) (٥) ولما أطل

(١) - الأصابة (٣٠٩/١) و (٥٣/٣) و (١٥٩/٤) .

(٢) - الاستيعاب (٨٣٢/٢) وأسد الغابة (٢٩٣/٣) .

(٣) - الطبري (٩/٣) وابن الأثير (٤٥٣/٢) والأصابة (١٥٩/٤) والاستيعاب (٨٣٢/٢) .

(٤) - ابن الأثير (٤٨٣/٢) وهو ابن الهريذ .

(٥) - باب الابواب : ويقال لها ( الباب ) ، ميناء كبير على بحر الخزر ، انظر التفاصيل في معجم

البلدان (٩/٢) . ويسمى اليوم : دربند .

عبد الرحمن على ( باب الأبواب ) والملك بها يومئذ شهر يار ، كاتبه شهر يار  
 واستأ منه على أن يأتيه ، فأمنه عبد الرحمن والتقى ، فقال الملك :  
 « إنني بأزاء عدو كليب ( ١ ) وأمم مختلفة ليست لهم أحساب ، ولا ينبغي لذي  
 الحسب والعقل أن يعينهم على ذى الحسب ، ولست من القبج ( ٢ ) ولا الأرمـن  
 في شئ ، وانكم قد غلبتم على بلادى وأمتى ، فأنا منكم ويدي مع أيديكم وجزيتي  
 اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون ، فلا تسومونا الجزية فتوهنونا لعدوكم » . فقال  
 عبد الرحمن : « فوقي رجل قد أظلك ، فسر إليه » ( ٣ ) .

وسير عبد الرحمن الملك شهر يار الى سراقه بن عمرو ، فلقبه بمثل ذلك . وقبل  
 منه سراقه ذلك وقال : « لا بد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو » ، فأجابـه  
 الملك إلى ذلك . وكتب سراقه في ذلك إلى عمر بن الخطاب ، فأجازه عمر  
 واستحسنه ( ٤ ) .

وقد كان عبد الرحمن أحد الشهود على العقد الذي عقده سراقه مع الملك  
 شهر يار كما كان أخوه سلمان شاهداً على ذلك العقد أيضاً ( ٥ ) .  
 وفي هذه الوثيقة وافق سراقه على وضع الجزية عن الذين يقاتلون أعداء المسلمين  
 جنباً لجنب مع المسلمين ، وابقى الجزية على القاعدين من أهل البلاد ( ٦ ) .

( ١ ) - كلب : شديد ، شرس ، سفيه .

( ٢ ) - القبج : أمة من الامم التي تعيش في منطقة بلاد الخزر ، ولم أجد تفاصيل ذات فائدة عن أصل  
 هذه الأمة .

( ٣ ) - الطبري ( ٢٣٦/٣ ) وابن الأثير ( ٢٨/٣ ) وانظر ابن خلدون ( ٩٨٣/٢ ) .

( ٤ ) - الطبري ( ٢٣٦/٣ ) وابن الأثير ( ٢٨/٣ ) .

( ٥ ) - الطبري ( ٢٣٧/٣ ) .

( ٦ ) - انظر التفاصيل في سيرة : سراقه بن عمرو في ( قادة فتح بلاد فارس ) ص ( ٢١٠ ) وهذا دليل  
 على أن الجزية كانت ضريبة الدفاع عن المغلوبين أو هي ( بدل نقدي ) عن الخدمة العسكرية كما نطلق  
 عليها اليوم في المصطلحات العسكرية الحديثة .

٢ - ومات سراقه ذو النور بن عمرو سنة اثنتين وعشرين الهجرية (١) (٦٤٢ م) فاستخلف عبد الرحمن قبل موته وحين بلغ عمر بن الخطاب موت سراقه واستخلافه عبد الرحمن ، أقر عبد الرحمن على فرج (٢) (الباب) وأمره بغزو الترك (٣) .  
 وخرج عبد الرحمن بالناس حتى قطع (الباب) ، فقال له الملك شهريار :  
 « ماذا تريد أن تصنع ؟ ! » قال : « أريد (بَلَنْجَر) والترك » . قال : « إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون (الباب) ! » ، قال عبد الرحمن : « لكننا لانرضى منهم ذلك حتى نأتيهم في ديارهم . وتالله إن معنا لأقواماً لو يأذن أميرنا في الأمعان لبلغت فيهم (الردم) (٤) قال الملك : « وماهم ؟ ! » ، فأجابته عبد الرحمن : « أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلوا في هذا الأمر بنية ، كانوا أصحاب حياء وتكرم في الجاهلية ، فازداد حياؤهم وتكرمهم ، فلا يزال هذا الأمر دائماً لهم ، ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم ، وحتى يلفتوا عن حالهم » (٥) .

وغزا عبد الرحمن (بَلَنْجَر) غزاة في زمن عمر بن الخطاب ، فقال الترك :  
 « ما اجترأ علينا إلا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت » فهرب منه الترك وتحصنوا فرجع بالغنيمة والظفر ، بعد أن بلغت خيله (البيضاء) على رأس مائتي فرسخ من (بَلَنْجَر) ، وعادوا ولم يقتل منهم أحد (٦) .

- 
- (١) - الطبري (٢٣٧/٣) وابن الأثير (٢٨/٣) .  
 (٢) - الفرغ : الثغر المخوف . وفروج الأرض : نواحيها .  
 (٣) - الطبري (٢٣٧/٣) وابن الأثير (٢٩/٣) .  
 (٤) - في ابن الأثير (٢٩/٣) : الرذم ، وهذا تصحيف . والردم : يقصد به سد الصين . قال تعالى :  
 قال مامكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً ، والاية الكريمة من سورة  
 الكهف (١٨ : ٩٤) .  
 (٥) - الطبري (٢٣٧/٣-٢٣٨) وابن الأثير (٢٩/٣-٣٠) .  
 (٦) - الطبري (٢٣٨/٣) وابن الأثير (٣٠/٣) .

ومن الواضح أن معنويات المسلمين كانت عالية جداً ، لتتابع انتصاراتهم ، ولتمسكهم بدينهم ؛ كما أن معنويات الأمم التي حاربوها كانت منهارة لأن المسلمين غلبوا الأمم التي قاتلوها . لذلك هرب الأتراك من المسلمين وتحصنوا ، فلم يحدث قتال فعلي في هذه الغزوة ، لذلك لم يسقط من المسلمين شهيد .  
 وكثيراً ما تنتصر الجيوش بالرعب ، كما كان يعبر عنه العرب الأقدمون ، ومعناه : ارتفاع معنويات المنتصر ، وانهيار معنويات المغلوب ، فينتصر المنتصر بمعنوياته العالية ، ويقهر المغلوب برعبه من عدوه المنتصر .

٣ - وغزا عبد الرحمن الترك غزوات في أيام عثمان بن عفان ، كان النصر حليفه فيها ، حتى إذا تبدل أهل ( الكوفة ) - وجيش عبد الرحمن أغلبه من أهل الكوفة والعراق في خلافة عثمان ، لاستعماله من كان ارتد استصلاحاً لهم ، فلم يصلحهم ذلك وزادهم فساداً أن سادهم من طلب الدنيا ؛ فغزاهم عبد الرحمن ، وكان الترك قد اختفوا في الغياض (١) ، وكانوا قد خافوا المسلمين ، واعتقدوا أن السلاح لا يعمل فيهم ! واتفق أن تر كياً اختفى في غِيضَة ورشق مسلماً بسهم فقتله ، فنادى في قومه : « إن هؤلاء يموتون كما تموتون ، فلم تخافوهم !؟ » (٢) . فاجترأ الترك على المسلمين وخرجوا عليهم من مكائهم وأوقعوا بهم . واشتد القتال ، فثبت عبد الرحمن حتى استشهد ، فأخذ الراية أخوه سلمان بن ربيعة الباهلي وقاتل بها . ونادى منادٍ « صبراً آل سلمان ! » فقال سلمان : « أو ترى جزعاً !! » وخرج سلمان ومعه أبو هريرة الدوسي على ( جيلان ) (٣) ، فقطعوها الى ( جرجان ) (٤) منسحباً

- (١) - الغياض جمع غيضة ، وهي الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف .  
 (٢) - معجم البلدان ( ٢٧٨/٢ ) وانظر الطبري ( ٢٣٨/٣ ) وابن الأثير ( ٣٠/٣ ) .  
 (٣) - جيلان : اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان ، وليس في جيلان مدينة كبيرة ، إنما هي قرى في مروج بين جبال ، والمعجم يقولون : كيلان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ١٩٤/٣ ) .  
 (٤) - جرجان : مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان ، وهي أكبر مدينة بنواحيها ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٧٥-٧٩/٣ ) .

من معركة خاسرة (١) بعد أن دفن أخاه عبد الرحمن بنواحي ( بلنجر ) (٢) ، وبهذا الانسحاب انقذ سلمان بقية من جيش أخيه عبد الرحمن .

وفي رواية أخرى ، أن عبد الرحمن حين استشهد أنهزم الناس وافترقوا فرقتين فرقة اتجهت نحو ( الباب ) ، فلقوا سلمان بن ربيعة أخا عبد الرحمن ، وكان قد سيره سعيد بن العاص مدداً للمسلمين بأمر عثمان بن عفان ، فلما لقوه نجوا معه ، وفرقة اتجهت نحو ( جيلان ) و ( جرجان ) (٣) .

والروايتان الأولى والثانية متناقضتان ، ونرجح الرواية الأولى ، لأن الرواية الأولى تدل على ( انسحاب ) المسلمين من ميدان القتال بقيادة واحدة وسيطرة واحدة باتجاه ( جيلان ) و ( جرجان ) . أما الرواية الثانية فتدل على ( هزيمة ) المسلمين باتجاهين : اتجاه ( الباب ) واتجاه محور ( جيلان ) ( جرجان ) . وشتان بين ( الانسحاب ) و ( الهزيمة )

إن الانسحاب أشبه بقتال المسلمين يومئذ ، وذلك في حالة اشتداد الضغط عليهم من العدو وتكبيدهم خسائر فادحة بالأرواح . والانسحاب هو من أجل الانحياز إلى فئة (٤) من المسلمين ، ليعيدوا الكرة ثانية على عدوهم ، وقد انسحب خالد ابن الوليد من معركة ( مؤتة ) في أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنقذ المسلمين من معركة خاسرة .

أما الهزيمة ، فلم يكن المسلمون يرضونها لأنفسهم حينذاك ، لأن هدفهم من الجهاد هو إحدى الحسينيين : الشهادة أو النصر ، كما أنهم كانوا يعتبرون الهزيمة

(١) - الطبري ( ٢٣٨/٣ ) و ( ٣٥٠/٣ ) وابن الأثير ( ٣٠/٣ ) و ( ١٣٢/٣ ) .

(٢) - معجم البلدان ( ٢٧٨/٢ ) .

(٣) - ابن الأثير ( ١٣٢/٣ ) .

(٤) - قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا فلاتوليهم الأديار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة ، فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير ) .

من الكبائر وهي : التولي يوم الزحف .

كما أن سلمان بن ربيعة أخا عبد الرحمن قد جاء مدداً لعبد الرحمن بأمر عثمان ابن عفان فليس من المعقول أن يبقى ومدده في ( الباب ) ، وليس من المعقول أن يتركه أخوه عبد الرحمن هناك وهو يخوض معركة قاسية شرسة ، يكون فيها القائد بأمس الحاجة إلى الجندي الواحد ، فكيف يترك عبد الرحمن جيشاً كاملاً على رأسه أخوه دون أن يستفيد منه في المعركة ١٢ .

إن المؤرخين القدامى كانوا يستعملون تعبير : ( الهزيمة ) ، وهم يريدون بها تعبير ( الانسحاب ) ، ذلك لأن أكثرهم مدنيون لا يفرقون بين هذين التعبيرين : ( الهزيمة ) ترك ساحة القتال بدون نظام ولاقيادة فهي كارثة ، و ( الانسحاب ) ترك ساحة القتال وفق خطة مرسومة بقيادة واحدة فهو - أي الانسحاب - صفحة من صفحات القتال ، الهدف منه إعادة الكرة على العدو بعد إكمال متطلبات المعركة عدداً وعدداً وعسى ألا يقع المؤرخون المحدثون في مثل هذا الخطأ في التعبير ، فلا يفرقون بين ( الهزيمة ) و ( الانسحاب ) ، لأن الفرق بين التعبيرين شاسع بعيد .

### الانسان :

كان عبد الرحمن على جانب عظيم من التقوى والخلق الكريم ، وربما كان يصف نفسه بدون ادعاء ولا قصد حين قال لملك ( الباب ) عن المسلمين الأولين من المهاجرين والأنصار : « . . . كانوا أصحاب حياء وتكرم في الجاهلية ، فازداد حياؤهم وتكرمهم بعد اسلامهم . . . » وهذا وصف موجز ، ولكنه وصف دقيق لخلق العرب المسلمين حينذاك .

والحق أن تصرف عبد الرحمن مع المغلوبين ، كان له أكبر الاثر في استتباب الأمن واستقرار النظام وانتشار الاسلام ، فقد كان وفياً غاية الوفاء ، أميناً غاية الأمانة .

أرسل ملك ( الباب ) رسولاً إلى ملك ( الصين ) مع هدايا - وذلك قبل أن يفتح المسلمون بلاده - فعاد رسوله من رحلته بعد فتح المسلمين لتلك البلاد . وكان مع الرسول العائد هدايا من ملك الصين ، بينها ياقوتة حمراء ثمينة ، وكان ملك ( الباب ) حين عودة رسوله في مجلس عبد الرحمن ؛ فتناول الملك من رسوله تلك الياقوتة ثمناولها عبد الرحمن ، ولكن عبد الرحمن ردها فوراً إلى الملك بعد أن نظر إليها ، فهتف الملك متأثراً وقال : « لهذه - يعنى الياقوتة - خير من هذا البلد - أي باب الأبواب وأيم الله لأنتم أحب إلي حكاماً من آل كسرى ، فلو كنتُ في سلطانهم ، ثم بلغهم خبرها ، لأنتزعوها مني !!! وأيم الله ، لا يقوم لكم شئ ما وفيتم ووفى ملككم الأكبر » ( ١ ) .

كان من حق ملك مدينة ( الباب ) وما حولها أن يعجب أشد العجب ويدهش أشد الدهشة بأمانة القائد العربي المسلم ووفائه ، فقد عاش هذا الملك عمره كله في دوامة عنيفة من الخيانة وفي جو مشحون بالغدر . فلما رأى أمانة المسلمين المثالية ووفاءهم المطلق ، لم يتمالك نفسه أن نسى ملكه المضاع وملوكه الغابرين ، فعبر عن شعوره بكلمات خارجة من أعماق قلبه إعجاباً بما يرى ويسمع من أمانة ووفاء .

لقد كان عبد الرحمن يعلم ، أن الاستيلاء على الياقوتة التي لا تقدر بثمن ليس من حقه شخصياً ولا من حق بيت مال المسلمين فكانت تلك الياقوتة والتراب عنده سيات .

كان عبد الرحمن كريماً مضيافاً ، شهماً غيوراً ، ورعاً تقياً ، متفقهاً في الدين نقياً ، لا يملك شيئاً من حطام الدنيا - على الرغم من أنه قضى أكثر عمره غازياً والياً . وفي منطقة ( بلنجر ) نام عبد الرحمن نومته الأبدية في خلافة عثمان بن عفان

( ١ ) - الطبري ( ٢٣٩ / ٣ ) .

بعد مضي ثمان سنين من خلافته (١) ، فيكون عبد الرحمن قد استشهد سنة اثنتين وثلاثين الهجرية (٦٥٢ م) ، لأن عثمان كان قد بويع بالخلافة سنة أربع وعشرين الهجرية (٢) .

وقد بقي والياً على منطقة (الباب) من سنة اثنتين وعشرين الهجرية (٦٤٢ م) الى سنة اثنتين وثلاثين الهجرية (٦٥٢ م) في أيام عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما ، و كان موضع ثقتهما المطلقة .

### القائد :

كان عبد الرحمن قائداً عتقدياً من الطراز الرفيع ، وكان لتمسكه الشديد بعقيدته موضع ثقة رؤسائه ومرؤوسيه على حد سواء ، بالإضافة الى شجاعته واقدامه وعلمه بأمور الدين . لذلك بقي قائداً لمنطقة (باب الأبواب) ووالياً عليها منذ وفاة سراقبة ابن عمرو حتى استشهد ، لم يعزل من منصبه على الرغم من تبديل الخلفاء وتغير الولاة والقادة في الكوفة مرجع عبد الرحمن المباشر .

و كان عبد الرحمن يؤمن بوسائل حرب الفروسية الشريفة ، فلا يخوف ولا يغدر ولا يضرب من الخلف .

و كان رفيقاً رحيماً حتى بأعدائه في ساحة القتال - وذلك بعد أن تنهار مقاومتهم فلا يبقى لهم حول ولا قوة .

و كان يكرم عزيز قوم ذل ، فلا يدعه يشعر بالمهانة والمذلة ، وحسبنا أن نذكر معاملته الكريمة للملك (باب الأبواب) : يحضره مجلسه ، ويستشيره في أمره ، ويعتمد عليه في حرب اعدائه ، ويتركه طليقاً كامل الحرية يسرح ويمرح كما يشاء بين

(١) - الاصابة (١٥٩/٤) والاستيعاب (٨٣٢/٢) وابن الأثير (١٣٢/٣) ، وقد ذكر الطبري (٣٥١/٣) أنه استشهد سنة تسع من خلافة عثمان بن عفان ، أي سنة ثلاث وثلاثين الهجرية .

(٢) - الطبري (٣٠٥/٣) وابن الأثير (٧٩/٣) .

قومه من غير رقيب ولا حسيب . ! .  
فمن يترك ملكاً خسر ملكه في الحرب في مملكته بالذات وبين قومه ورعيته  
غير الذين يعتمدون على أنفسهم ويثقون بها ويراعون الجانب الحلقي في الحرب !!؟؟  
تلك الأخلاق المحاربة التي كان يتحلى بها عبد الرحمن ، جعلته موضع ثقة  
قاداته وجنوده وحتى الشعوب والحكام الذين غلبهم في الحرب ، مما سهل عليه  
مهمته القيادية .

وكان سريع القرار صائبه ، يحب رجاله ويحبونه ، ذا شخصية قوية وارادة نافذة  
وشجاعة وحكمة ، وكان له ماضٍ ناصع مشرف مجيد .

### عبد الرحمن في التاريخ :

لقد كان نسيرة عبد الرحمن الحسنة في منطقة ( باب الأبواب ) وجنوب بحر  
الجزر وغربه أثر أي أثر في استقرار الأمور واستتباب الأمن والنظام في تلك الربع  
فأصبحت تلك المناطق قاعدة أمامية لنشر الاسلام والفتح شمالاً ، فثبت الاسلام  
في تلك الأصقاع النائية في وجه مختلف المحن والتيارات منذ أربعة عشر قرناً حتى  
اليوم .

يكفي أن يذكر له التاريخ تضحيته بروحه من أجل عقيدته ، وفتحته مناطق شاسعة  
نائية لاتزال حتى اليوم تدين بالاسلام .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القاضي العادل ، العامل الأمين ، القائد الفاتح  
الفارس الشهيد ، عبد الرحمن ذي النور بن ربيعة الباهلي .